تعقيبات

الأصدقاء والأعداء :

نشرت الجريدة الرسمية للحكومة البلجيكية قانون جمعية تألفت أخيراً باسم « جمعية الصداقة المصرية البلجيكية » ، وقالت إن غرض هذه الجمعية « توثيق الروابط الثقافية والاقتصادية بين مصر وبلجيكا » ، وذكرت أن من أعضائها « أحمد صديق باشا ، وعزيز أباظه باشا ، والسيو هنري أردن مدير شركة ترم القاهرة ، وحضرة سكرتير الفوضية المصرية ببروكسل » ... إلى آخر من ذكرت من ذلك الخليط ..

ومنذ أيام قليلة كانت لنا قضية أمام مجلس الأمن ، هي قضية الحياة والحرية والكرامة ، ووقفنا في المجال الدولي نتبين العدو من الصديق ونفتش عن أولئك الذين عاشوا طول الزمن يغترفون من فيض الكرم المصري ويقتاتون بدم الشعب الطيب الوديع ، فهالنا أن نرى « بلجيكا » في صف الأعداء ، تأبى علينا الحياة والحرية والكرامة ، وتعلن على مطالبنا حرباً شعواء في غير خجل ولا حياء ، وهي التي تكسب من مال مصر كل عام ما يقدر بنصف دخلها أو يزيد .

في الشدة عرفنا العدو من الصديق ، وأصبح من الواضح أين نتوجه بعواطفنا وإلى من نبذل صداقتنا ، وبالأمس حدثنا لأديب مصري أن ألقى بوسام فرنسي من صدره إنكاراً لدولة أنكرت علينا حقوقنا ، ولكن يظهر أن عندنا جماعة من محترفي « الصداقات » وهم في هذا السبيل لا يبالون مصريتهم ولا يراعون عواطف الشعب الذي ينحدرون منه وينتسبون إليه !

يقول الفلاحون عندنا في أمثالهم : « ليس بعد حرق الزرع حيرة » ، فماذا يكون بيننا وبين بلجيكا من الروابط « الثقافية والاقتصادية » ولماذا نحرص على تقوية هذه الروابط بعد الذي كان من موقف تلك الدولة تجاه قضيتنا ، وتجاه حريتنا ، وبعد أن كفرت بأفضال مصر واستخفت بكرم المصريين وكرامتهم ؟؟

كلا أيها السادة ، إن الكرامة المصرية أصبحت لا تحتمل هذا التهافت ولا تطيق تلك « الصداقات الرخيصة » التي تجلب لأصحابها ما تجلب من « الأسهم والسندات » ولكن على حساب الأمة المسكينة والشعب المنكوب !!

لازاريت .. والأزهر :

أذكر في الكلام الذي يجري الآن عن الحجر الصحي ووقاية البلاد من الأمراض الوافدة بكلمة لها صلة بهذا الموضوع .

ذلك أن جمهورية « فينسيا » كانت أول دولة أقامت محجراً صحياً ببلادها عام ١٤٠٣ م وأسمته « لا زاريت » ، ثم كان أن أخذت الدول الأوروبية عنها هذا النظام .

ولما هجمت « الكوليرا » على مصر عام ١٨٣١ م كان الوالي على مصر محمد علي باشا ، فأمر ذلك المصلح الكبير بإدخال نظام « الكورنتينة » في مصر ، فجمع قناصل الدول وألف من بينهم لجنة لوضع النظام الخاص بهذا الغرض ، وفي عام ١٨٣٢ م بنى أول محجر صحي في الشاطبي بالأسكندرية ، وعرف هذا المكان باسم « مزربطه » أو « الأظاربطه » نسبة إلى كلمة « لازاريت » التي أطلقت على أول محجر صحي أنشأته جمهورية « فينسيا » ..

ويقول « لاروس » في معجمه الكبير — مادة لازاريت — « إن بعض الأفرنج يرون أن كلمة لازاريت مأخوذة من كلمة الأزهرية لأن الأزهر في مصر ملجأ للعميان والشيوخ المتقاعدين »

ولست أدري هل هذا هو مبلغ العلم عند هؤلاء الأفرنج ، أم هي روح التعصب والشنآن لا تفارقهم حتى في التحقيق العلمي ، فإن كلمة « لازاريت » معروفة الأصل واضحة النسب ، فهي كلمة لاتينية معناها « المجذوم » ، وقد كانت الدولة الرومانية تبالغ كثيراً في الحجر على المجذومين ، وكان عقاب المجذوم الذي يخرج من نطاق الحجر هو القتل السريع ، وكان أن أطلقت هذه الكلمة على نظام الحجر الصحي الذي أخذت به الأمم فيما بعد ..

علي مبارك باشا :

أشار الدكتور زكي مبارك في مقال له بالبلاغ إشارة عابرة إلى علي مبارك باشا فقال : « والحقيقة أن علي مبارك باشا من مديرية الشرقية ... وقد كان عظيما ، والذي يعرف تاريخه هو

الدكتور ابراهيم سلامه ، فقد نال بالحديث عن مذاهبه التعليمية إجازة الدكتوراه من باريس ... » .

وأنا رجل شرقاوى ، وكان يهمنى أن يكون ذلك الرجل العظيم من مفاخر إقليمى ، ولكن الحقيقة أنه من الدقهلية ، وقد قرر هو هذه الحقيقة فى الترجمة التى كتبها لنفسه فى الخطط التوفيقية فقال : « إن قرية برنبال الجديدة هى مسقط رأسى ، وبها نشأت ، وكانت ولادتى سنة ١٢٢٩ هـ كما أخبرنى بذلك أبى وأخى الأكبر ، وأصل جدنا الأعلى من ناحية الكوم والخليج وهى قرية على بحر طناح ... » ، ومن المعروف أن قرية برنبال الجديدة تقع على البحر الصغير تجاه كفر علام بمديرية الدقهلية ..

ومما يذكر بهذه المناسبة أن على باشا مبارك فر من قريته وهو صغير فأصيب بالكوليرا وسقط فى الطريق ، وكانت فاشية فى مصر يومذاك ، فحمله أحد الفلاحين إلى منزله وتولى علاجه والعناية به ، وقد كتب الله له السلامة من ذلك الوباء اللعين ...

وهناك مسألة يجب أن يتدبرها الذين يكتبون عن على مبارك باشا ، ويدرسون آثاره ويحكمون عليها ، وهى أنه رحمه الله كان يصنع فى مؤلفاته صنيع السيوطى من قبل ، فكان يعتمد إلى حد بعيد على تلاميذه ومريديه وأصدقائه فى وزارة المعارف ، ويقولون إن للمغفور له عبد الله فكرى باشا جهداً فى « الخطط التوفيقيه » ، وقد استطاع على مبارك باشا بهذه الطريقة أن يؤلف كثيراً حتى فى الموضوعات التى لم تكن لها صلة بثقافته ، وإن الكشف عن هذه الحقيقة ليجعلنا نتدبر كثيراً فى الحكم على مؤلفات ذلك الرجل العظيم وما خلف من آراء وآثار .

هذه كلمة عابرة فى الرد على إشارة عابرة ولعل الوقت يسمح لى بالكتابة عن ذلك الرجل فقد جمعت عنه من المعلومات الشىء الكثير ...

إمارة الشعر :

لمناسبة ذكرى المغفور له شوقى بك عاد إخواننا الصحفيون يتحدثون عن إمارة الشعر ، وفتحت مجلة « الهلال » فى عددها الأخير باب الاستفتاء لقرائها فيمن هو أجدر بلقب الأمارة الآن ؟

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن إمارة الشعر يمكن أن تفتعل افتعالا وتقترح اقتراحاً وأنه لابد للشعراء من أمير كما للصحفيين نقيب وللمحامين عميد وللعمال « كوماندو » وللتجار « سرتجار » ...

وكأنى بأخواننا هؤلاء يحسبون أن شوقى صار أميراً للشعراء لأن فريقاً من أدباء العربية احتفلوا به لهذا الغرض ، ولأن حافظاً بايعه بالأمارة فى ذلك الحفل ، ولأن الصحف أخذت تخلع عليه هذا اللقب فى كل مناسبة ...

كلا أيها الإخوان ، إن شعر الشاعر وحده هو الذى يضمن له الأمارة ، ويضمن له الخلود على الزمن وهو مرتبة أكبر من كل إمارة وما هو فوق الأمارة ...

لقد كانت بدعة اقتضتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر منذ نصف قرن ، فقد كان المصريون يرون أن الأتراك قد استأثروا دونهم بالألقاب الفخيمة والرتب العالية ، فكان من مطالبهم أن يكون لهم نصيبهم من هذا ، وكانت فى نفوسهم لهفة على أن تكون أسماؤهم مقرونة بالألقاب والنعوت الكبيرة ، وكان لهذه اللهفة صداها فى دولة الأدب ، ولما كان شوقى شاعر القصر فى تلك الأيام فقد درجت الصحف يومذاك على تلقيبه بشاعر الأمير ، ولما كان حافظ فى الجهة القابلة له فقد لقبوه بشاعر النيل ، وهكذا شاعت الألقاب بين الشعراء والكتاب ، فلقبوا الخليل بشاعر القطرين ، واسماعيل صبرى بأستاذ الشعراء أو بشيخ الشعراء ، وعبد المطلب بشاعر المروءة والبداوة ، وولى الدين يكن بأمير الشعروالنثر ، وجاء صديقنا الأستاذ أحمد رامى فى عقاب ذلك ففاز من التركة « بشاعر الشباب » وهى الرتبة التى لا يزال يحملها إلى اليوم ... وكان المرحوم الشاعر أحمد نسيم لا يجد من يخلع عليه اللقب المناسب فكان يرسل بقصائده إلى الصحف بعد أن يكتب لها مقدمة ثناء طويلة يخلع فيها على نفسه ما شاء من ألقاب ، أقلها شاعر الوطن ... ولما مات شوقى وحافظ وقف يقول :

ولو شئت كانت لى زعامة شعرهم وكنت لمن يأتم خير إمام
شوارد تزرى بالحطيئة هاجياً وتعيى جريراً فى مديح هشام

ولكن عهد الحطيئة وجرير كان قد انقضى ...

وكانت فى نفس شوقى رحمه الله لهفة إلى نيل رتبة الباشوية ، كما كان المتنبى يتلهف على الفوز بالولاية ، ولكن الظروف لم تسعفه ، فقد أبعد الخديوى عن مصر ، وأبعد شوقى نفسه عن